غزوة بدر في القرآن الكريم دراسة موضوعية

د. مرهف عبد الجبار سقا[1]

الملخص

موضوع البحث: يعرض البحث لغزوة بدر في القرآن الكريم بأسلوب الدراسة الموضوعية، رتبت فيها الآيات بحسب موضوعها، ورتبت المواضيع بحسب التسلسل التاريخي للغزوة، واستشهدت فيها من السيرة والأحاديث ما يتعلق بدلالة الآية واجتهدت في إبراز العبر والسنن الربانية التي تضمنتها الآيات في أثناء التفسير، وإبراز المعاني النفسية التي عرضتها الآيات للمؤمنين والمشركين، وتجلية مظاهر العناية الربانية لجنده.

أهداف البحث: ويهدف البحث إلى بيان الجوانب المختلفة التي تعرض لها القرآن الكريم في آيات معركة بدر، وتوضيح دلالات القرآن في عرض معركة بدر إن كان فيها من القضايا التي تدل عليها وليست ظاهرة في السيرة النبوية مما وردنا.

منهج البحث: والمنهج العام للبحث: استقرائي استدلالي.

أهم النتائج: ومن أهم نتائج البحث أنه أعطى للغزوة بعدا نفسيا ومعنوياً يختلف عن طريقة عرض السيرة للغزوة، كما أن المواقف التي سلطت عليها الآيات كان معظمها يؤكد على تدبير الله للمؤمنين، ليقضي الله أمرا كان مفعولاً، وليحقق السنة الربانية في نصرة الله لأوليائه وخذلانه لأعدائه إن حققوا أسباب النصر الإيمانية قبل المادية.

(١) أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة

أهم التوصيات: دراسة آيات غزوة بدر في القرآن الكريم دراسة تحليلية مشتركة بين تخصصات متعددة "عسكرية وتربوية وسياسية إضافة للدراسة الطبوغرافية، وعلى نسقها باقي الغزوات في القرآن الكريم.

الكلمات الدلالية: غزوة – بدر – تفسير– القرآن– معركة – سيرة

Abstract

Battle of Badr in the Holy Qur'an – A Thematic Study

Dr. Morhaf Abduljabbar Sakka

Associate Professor of Quranic Interpretation and Sciences in the Department of Islamic Studies

The research presents the Battle of Badr in the Holy Qur'an by the method of thematic study, in which the verses were arranged according to their subject, and the subjects were arranged according to the chronological order of the battle. I cited hereof from the biography and Hadiths related to the significance of the verse, and an effort was made to highlight the lessons and the divine rules contained in the verses during the interpretation. In addition, I highlighted the psychological meanings presented by the verses to the Believers and Unbelievers, and to demonstrate the manifestations of the divine care for His soldiers.

The Research aims to determine the various aspects of the Holy Qur'an described in the Battle of Badr's verses. It also determines the implications of the Qur'an in describing the Battle of Badr if there are matters that indicate the Battle and are not stated in what we received from the Prophet's biography.

The general approach of the research is inductive and constructive. Therefore, one of the most important results is the statement of a psychological and moral dimension for the Battle that differs from the way of describing the Prophet's biography of the Battle. In addition, most of the situations highlighted by the verses in the Holy Qur'an confirmed the plan of Allah for the Believers. Allah causes what has been destined to happen and makes the divine judgment take place by betraying the unbelievers while supporting the believers with His victory when they fulfill the faith-related causes of victory before material ones.

The most important recommendations: Studying the Battle of Badr verses in the Holy Qur'an in an analytical interdisciplinary study between multiple fields, military, educational and political, in addition to a topographical perspective, and following the same manner studying the rest of the Battles in the Holy Qur'an.

Keywords: Conquest - Badr - Interpretation - Quran - Battle – Biography.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أهمية البحث

فإنه لا يخفى ما للتاريخ من أثر في تحويل سير الأمم نهوضا وارتقاءً؛ ذلك لأنه بوابة المستقبل، فمعرفة التاريخ ترسخ في النفس البشرية معرفة السنن الإلهيَّة التي خلت في عباده، إذ كل ما أصاب وحدث في الأمم السابقة، وفيمن قبلنا من هذه الأمة؛ سيتكرر بتكرار أسبابه، وتكون نتائجه وفق مقدماته، فالحكم يدور مع علته حيثما دار، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣]، وقد نزلت الآيتان السابقتان في المدينة بعد وعيد المنافقين والكافرين، أي: إن ما سيصيبكم أيها المنافقون والكافرون هو ما أصاب من يماثلكم في اعتقادكم وأفعالكم؛ وهكذا سنة الله مستمرة إلى يوم القيامة في أمثالكم في المستقبل، ومعركة بدر عبرة لكم، وأيُّ عبرة؛ ففيها تجلت عناية الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين، وسجلها القرآن العظيم آيات تتلى إلى يوم القيامة لتكون سنة لمن أراد الفرقان؛ لما تحويه من سنن النصر وعوامل الهزيمة، إذ تجلت فيها سلوكيات مفهوم التوكل على الله.

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث من خلال التساؤلات الأساسية الآتية:

كيف تحدث القرآن الكريم عن معركة بدر؟، وما الجوانب التي سلط القرآن الضوء عليها في أثناء عرض المعركة؟، وهل ذكرت الآيات القرآنية أمورا في المعركة لم ترد في السيرة النبوية؟، وما هو الدور البياني لدلالات الآية القرآنية التي ذكرت معركة بدر في القرآن

الكريم في تصوير الغزوة وتعليم السنن الربانية؟.

أهداف البحث

وفي ضوء المشكلات السابقة تتبين لنا أهداف البحث بالجوانب الآتية: بيان الجوانب المختلفة التي تعرّض لها القرآن الكريم في آيات معركة بدر، وتجلية دلالات القرآن في إبراز المعاني التي تدل عليها وليست ظاهرة في السيرة النبوية مما وردنا، مع الحرص على إبراز الجوانب النفسية التي تتضمنها الدلالة.

حدود البحث

حدود البحث في عرض القرآن الكريم لمعركة بدر من ابتدائها حتى تقسيم الغنائم، وتفسيرها إجمالا مع العناية بدلالة الآيات على المعركة، واستخراج العبر والسنن الربانية من ذلك في أثناء التفسير دون الدخول في القضايا الفقهية والعقدية.

منهج البحث

يغلب على البحث المنهج الاستقرائي والاستدلالي، وذلك باستقراء الآيات القرآنية المتعلقة بمعركة بدر في القرآن الكريم، والاستدلال منها على أحداث المعركة وما حصل فيها، كما أن البحث له جانب في المنهج التاريخي وذلك في معالجة ترتيب الآيات القرآنية بحسب التسلسل التاريخي للأحداث، فآيات غزوة بدر توزعت في سورتي آل عمران والأنفال وكانت تأتي بسياقها مع غزوة أحد أيضاً، ولم ترتب في القرآن وفق النزول أو تسلسل الحدث كما هو معلوم.

إجراءات البحث

يتلخص إجراءاته في:

١. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بمعركة بدر في القرآن الكريم، وترتيبها في موضوعات

متفقة في الحدث وفق ما هو معروف في التفسير الموضوعي، مع مراعاة التسلسل التاريخي للموضوعات، مسترشدا بكتب السيرة والتاريخ.

٢. تفسير الآيات بأسلوب التفسير الإجمالي، دون التعرض للإعراب أو القضايا البلاغية بالتحليل في أثناء التفسير، إلا في مواطن قليلة في الهامش لقوة الاختلاف فيه، ولكني أثبت ما أراه راجحا، وأتعرض في الحاشية أحيانا للقول الآخر، وليس بخاف على القارئ أن بيان الدلالة في التفسير الإجمالي يعتمد أصلاً على التفسير التحليلي، ثم يثبت المفسر خلاصة ما ترجح له.

٣. ولا يخفى على المختصين أهمية الاعتماد على السنة النبوية والسيرة في ذلك، وقد عرف في أسلوب التفسير الموضوعي أن لا يكون الاستدلال بالأحاديث أو السيرة إلا بحدود الغرض منها، ولذلك أورد من السيرة والأحاديث ما كان متعلقا بحدث الآية مع تخريجها من مظانها من كتب السنة والسيرة، وكتب التفسير المسندة، وذكر درجتها من كلام الأئمة إن وجد؛ إلا أن يكون في الصحيحين أو أحدهما، وعند تخريج الحديث من أحد الكتب الستة أذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، وأما في المسند فأذكر الجزء والصفحة، وأما الآثار غير المرفوعة فأحيلها إلى مصادرها المسندة، وتركت ذكر بيانات المراجع للفهرس.

٤. لم أترجم للأعلام الواردة في البحث لعدم الحاجة لذلك في مثل هذه الأبحاث، ولأن الأعلام المذكورين معظمهم من الصحابة المشهورين وكبار التابعين المعروفين لأهل التخصص.

الدراسات السابقة

الكتابات عن غزوة بدر كثيرة، ولكن ما يعنينا هنا الأبحاث التي تناولت غزوة بدر في

القرآن الكريم، ولم أجد في هذا الاتجاه سوى: "حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ"، للدكتور محمد بن عابد آل بكر(١)، وهو من جزئين، أما الأول: فأصله رسالة ماجستير، والجزء الثاني رسالة دكتوراه، قدمتا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد تضمن الباب الأول من الجزء الأول الحديث عن "حديث القرآن عن غزوة بدر"، وجعله في ثلاثة مباحث: الأول مقدمات الغزوة وملابساتها، الثاني: وصف غزوة بدر، الثالث: نتائج غزوة بدر، إلا أن ما يؤخذ عليه أنه لم يلتزم بمنهجية مضطردة في الحديث عن غزوة بدر، فتارة يعرض الآيات المتعلقة بالحدث ثم يفسرها، وأخرى يذكر العنوان ثم يتكلم عن أحداثها متضمنا فواصل الآيات المتعلقة بالعنوان، وأما أسلوبه فكان أقرب إلى التحليلي منه إلى الموضوعي.

كما أنه لم يرتب موضوعات الغزوة بالترتيب المناسب حسب الأحداث، بل قد يدخل حدثا في حدث، كما أدخل الحديث عن موقف إبليس من المعركة، إذ جعله في المبحث الأول مقدمات الغزوة وملابساتها، مع أن محله في المبحث الثاني في وصف المعركة؛ لأنه كان عندما تراءت الفئتان، وكذلك في الحديث عن رؤيا النبي ﷺ للمشركين؛ جعلها في وصف المعركة مع أنها كانت قبل المعركة، وترك ذكر بعض الآيات وهي في معركة بدر، كقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وبالجملة فهذه أمثلة تبين أهمية إعادة النظر في دراسة غزوة بدر في القرآن الكريم ولزوم مراعاة التسلسل الواقعي للأحداث كما دلت عليه السنة، ولذلك كان هذا البحث.

ثم رأيت رسالة ماجستير بعنوان "غزوة بدر الكبرى في القرآن الكريم دراسة

(١) ط دار الغرب الإسلامي، تونس، الأولى ٢٠١١ م.

تفسيرية"، للباحث سامر محمد المومني تقدم بها لاستمال الحصول على متطلبات الماجستير في جامعة آل البيت في الأردن، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، قسم أصول الدين عام ٢٠٠٢، وتألف البحث من فصل تمهيدي عن الجهاد: مفهومه ومراحله وأهدافه ودراسة حول سورة الأنفال، والفصل الأول في دراسة الآيات التي تتحدث عن مقدمات المعركة، فكان المبحث الأول عن خروج المؤمنين، والمبحث الثاني عن خروج المشركين، والمبحث الثالث عن موقف الشيطان في المعركة، ثم الفصل الثاني في دراسة الآيات التي تتحدث عن وصف أحداث المعركة، فكان المبحث الأول في وصف مكان المؤمنين والمشركين، والمبحث الثاني في استغاثة النبي ﷺ وما حصل من النعم المؤيدة للمؤمنين، والفصل الثالث في دراسة الآيات التي تتحدث عن نتائج معركة بدر، فكان المبحث الأول في نصر الله للمؤمنين، والمبحث الثاني في الغنائم، والمبحث الثالث في الأسرى، والمبحث الثالث في السنن الإلهية في الغزوة، ثم الخاتمة.

وقد تناول الباحث الغزوة بأسلوب التفسير التحليلي، إضافة إلى أن الجانب الفقهي أخذ مساحة في البحث لا بأس بها كما في الفصل التمهيدي والفصل الأخير في الحديث عن الغنيمة والفيء والأنفال، الفرق بينها وأحكام تقسيمها، ومع أن الباحث بذل جهدا لا ينكر ولكنا نجد الإجمال في العناوين والتداخل في تناويل مراحل المعركة، فإن ترتيبه للآيات وفق أحداث المعركة في بعضها نظر، كالاستفتاح لم يكن عند الخروج، وإنما بعدما بلغ المشركين نجاةُ قافلة أبي سفيان قبل المعركة كما رجحته في بحثي هذا وفق ما دلت عليه الروايات، وأما موقف الشيطان من المعركة فكان في أثناء المعركة وليس عند الخروج، كما أن رؤية المؤمنين للمشركين قلة أو كثرة كان في موقفين، أحدهما عند التقابل والثانية في المنام، وليت الباحث ميز بين الحالتين وفق سياقها في المعركة ولم يجعلهما في موقع واحد.

وكذلك بعض الأحداث تداخلت ببعضها وكان الأولى الفصل بينها نظرا لأهميتها في المعركة وفي السنن الربانية، كتأييد الله المؤمنين بالملائكة والنعاس والمطر تحتاج كان ينبغي إفرادها في مباحث خاصة وليس عناوين فرعية في مبحث كما فعله الأخ الباحث، ، وكذلك لو فصل بين ما حصل في المعركة من الرمي وبين النصر الذي هو نتيجة المعركة ولم يدمجهما في عنوان واحد.

وبالجملة فإن ترتيب الآيات وفق الأحداث في رسالة الباحث تحتاج إلى إعادة نظر ودقة وفق أرجح الروايات.

ومما له صلة بموضوع البحث: "منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث غزوة بدر الكبرى"، د. أحمد شعبان، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – السعودية: المجلد الخامس العدد العاشر لعام ٢٠١٦.

تناول هذا البحث: المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في توثيقه لأحداث السيرة النبوية من خلال توثيقه لغزوة بدر الكبرى وخصائص هذا التوثيق؛ كإيراد الأحداث غير مرتبة زمنيا، والجمع بين الأحداث المتباعدة في سياق واحد، والإيجاز الإجمال في التعبير عن الحدث ... الخ، ثم بين فيه الباحث أهمية التوثيق القرآني لأحداث السيرة النبوية، ومنزلة هذا التوثيق بالنسبة لغيره من كتب السير والتاريخ، ثم بين الآيات التي نزلت في الغزوة، وتحدث عن المحاور التي وثقتها هذه الآيات، والمحاور التي غضت الطرف عنها، ونتائج الغزوة، دون تناولها بالتفسير عموما سواء بأسلوب التفسير الموضوعي أو التحليلي.

إذن فإن مرتكز البحث كما يدل عليه عنوانه: بيان خصائص التوثيق القرآني لأحداث الغزوة وبيان أسباب تركزه في سورة الأنفال، واعتبار هذا التوثيق من أسرار الإعجاز القرآني، وتجاوز بعضه إلى سور أخرى لحكم بليغة وأسرار عجيبة.

ومن خلال الاستعراض السابق يمكننا القول إضافة لما سبق: ثمة جوانب أخرى لا بد من تناولها والتعرض لها كونها متممة لصورة غزوة بدر، وأن يكون ذلك بأسلوب تفسيري لم تتعرض له الأبحاث السابقة وهو أسلوب التفسير الموضوعي، مع العناية بترتيب الأحداث ترتيبا دقيقا والاحتفاء بدلالات الآيات وفق سياقها.

خطة البحث

جعلت البحث من أربعة مباحث يتخللها خمسة عشر مطلبا، وذيلته بخاتمه:

المقدمة: تقدمت، وبيَّنت فيها أهمية البحث وسبب الاختيار ومشكلة البحث وأهدافه وحدوده ومنهجه وإجراءاته والدراسات السابقة.

المبحث الأول: قبل المعركة: وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد: مجمل ما حصل للمسلمين في مكة وكان سببا للمعركة:

- المطلب الأول: خروج المؤمنين للعير.
- المطلب الثاني: خروج قريش للقتال.
- المطلب الثالث: استفتاح أبي جهل والمشركين.
- المطلب الرابع: رؤيا النبي ﷺ.

المبحث الثاني: في أرض المعركة، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: مواقع الفريقين، وعير أبي سفيان.
- المطلب الثاني: موقف المنافقين.
- المطلب الثالث: تأييد الله المؤمنين بالنعاس والمطر.

المبحث الثالث: المعركة، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: استغاثة الرسول ﷺ والاستجابة.
- المطلب الثاني: الإمداد بالملائكة، وقتالهم في المعركة.

- المطلب الثالث: قتال الفريقين، وما حصل في المعركة.

المبحث الرابع: بعد المعركة، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الأسرى.
- المطلب الثاني: الغنائم.
- المطلب الثالث: ما حصل عند تقسيم الغنائم.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات

هذا: وأسأل الله التوفيق والرضا والسداد.

المبحث الأول

قبل المعركة

تمهيد: مجمل ما حصل للمسلمين في مكة وكان سببا للمعركة:

تعود جذور المعركة إلى العهد المكي، لما نوعت قريش أساليبها في الصد عن سبيل الله وإعادة من أسلم إلى الكفر، فتحالف قريش لحصار المسلمين في الشِعب ما زال في الذاكرة، إذ ائتمر كفار قريش فيما بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا يُنكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ثم انحازت بنو هاشمٍ وبنو عبدالمطلبِ إلى أبي طالبٍ ودخلوا معه في شِعْبِه وخرج أبو لهب وظاهَر قريشًا[١].

وتخلل هذه الحرب الاقتصادية والاجتماعية مواقفُ الاستفزاز والتجبر، إذ جاؤوا بسَلَى جزورٍ ووضعوه على ظهر سيدنا محمد ﷺ لما سجد، فجعلوا يضحكون، حتى جاءته فاطمةُ فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات، ثم سمَّى: "اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي مُعَيط" –وعدَّ السابع فلم نحفظه[٢]– قال: فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر[٣].

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: "ما رأيت قريشًا أرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٣٥٠-٣٥١، خبر الصحيفة، وانظر أيضا، ١/ ٣٧٤، نقض الصحيفة.

(٢) الشك هنا أو النسيان من الراوي عن ابن مسعود وفي رواية البخاري برقم (٤٩٨) هو عمارة بن الوليد.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذرٌ أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، رقم (٢٣٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين رقم (١٧٩٤).

وسلم إلا يوماً؛ ائتمروا عليه وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءَه ثم جذبه حتى وجب[١] لركبتيه، وتصايح الناس، وظنوا أنه مقتول، قال: وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبْع[٢] رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] ثم انصرفوا عن النبي ﷺ فقام رسول ﷺ، فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال: "يا معشر قريش: أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذَّبح"، وأشار بيده إلى حلقه، فقال له أبو جهل: يا محمد، ماكنت جهولاً. فقال رسول الله ﷺ: "أنت منهم"[٣].

ثم هاجر المسلمون من مكة تاركين أموالهم وتجاراتهم هناك، فتسلط عليها كفار قريش واستملكوها، كل ذلك والمسلمون يقابلون لؤم المشركين بالصبر والاحتساب طاعة لله، حتى وصلوا المدينة ونزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ[٣٩] الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

(١) وجب: سقط، والوجبة: السقطة مع الهدَّة، أو صوت الساقط. ترتيب القاموس للزاوي، ٤/ ٥٧٤- ٥٧٥ مادة (وجب).

(٢) الضَّبْع: العضد كُلُّها، أو وسطها بلحمها، أو الإبط، أو ما بين الإبط إلى نصف العَضُد من أعلاه، انظر ترتيب القاموس للزاوي، ٣/ ١٠.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٥٦٩)، وأبو يعلى في المسند برقم (٧٣٣٩)، قال الهيثمي: (رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح) مجمع الزوائد، ٦/ ١١.

المطلب الأول: خروج المؤمنين إلى العير

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ(٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ(٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ(٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجرِمُونَ(٨)﴾ [الأنفال: ٥ – ٨].

في رحاب الآيات

هذه الآيات تضعنا أمام حقائق عديدة لخروج المؤمنين إلى بدر:

أولها: أن خروج المؤمنين إلى بدر كان قضاء ربانياً؛ ساق المسلمين إليه سوقا وهيأ لهم أسبابه.

وثانيها: وجود طائفتين من الأعداء ينتظر المسلمون غنيمة أحدهما.

والحقيقة الثالثة: وجود وعد رباني بالظفر والنصر بإحدى الطائفتين.

أما الحقيقة الرابعة وهي: بيان المواقف النفسية لتلك الثلة التي خرجت لتحقيق قضاء الله تعالى ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥].

والحقيقة الخامسة والسادسة: جدالهم، وحالتهم في الجدال: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ(٦)﴾ [الأنفال: ٦].

والحقيقة السابعة تعلق النفوس بالغنيمة الباردة: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

والحقيقة الثامنة وهي جامعة الحقائق: أن ثمة إرادة ربانية تسوق الفريقين إلى قضاء محتم، يجمع الله فيه عوامل النصر والهزيمة، ويجري الله تعالى سنته في أوليائه وفي أعدائه، لتكون هذه المعركة فرقانا بين الحق والباطل.

وتروي لنا كتب السنة والسيرة وقائع هذا الخروج في بيان يفصل مجمل ما سبق إذ بلغ

النبيَّ ﷺ خبر عير قريش القادمة بقيادة أبي سفيان من الشام متجهة إلى مكة وفيها أموال قريش وتجارتها، فاستنهض النبي ﷺ من خف من المسلمين لها فخرج معه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، وطلبوا العير من طريق بدر، عن ابن عباس قال: لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام؛ ندب المسلمين إليهم وقال: "هذه عير قريش، فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها"، فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم[1]، فلم يكونوا يعلمون أن حربا ستحصل.

فلما علم أبو سفيان بالخبر؛ أرسل إلى قريش يستفزهم لإنقاذ القافلة ثم أخذ طريق الساحل، فلما وصل النذير إلى مكة استنفرت قريش في نحو تسع مئة إلى ألف مقاتل بعدتهم وعتادهم وخرجت لقتال النبي ﷺ وإنقاذ قافلتهم، ولما وصل النبي ﷺ بعض وادي ذفران ونزل به؛ أتاه خبر قريش وخروجهم متجهزين لقتال، قال ابن عباس: "ثم إن أبا سفيان أقبل من الشام في عير لقريش حتى إذا كان قريباً من بدر، نزل جبريل على النبي ﷺ، فأوحى إليه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]"[2].

واستشار النبي ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر فأحسن، ثم قام عمر فأحسن، ثم المقداد بن عمرو فقال وأحسن، ودعا له الرسول ﷺ بالخير، ثم ما زال الرسول ﷺ يستشير أصحابه وإنما يريد الأنصار، ذلك أنهم كانوا عدد الناس، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونساءَنا، فكأن رسول الله ﷺ خاف أن

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ٣/ ٣٢، جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٤، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٠٦-٦٠٧.

(٢) جامع البيان لابن جرير ٩/ ١٢٥.

لا تكون الأنصار ترى عليه نصرته؛ إلا من دهمه بالمدينة، وأن ليس عليهم أن يسيروا إلى عدوّ من بلادهم(١).

وفي رواية السُّدِّي: "فشاورهم فجعلوا يشيرون عليه بالعير، فلما أكثر المشاورة، تكلم سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أراك تشاور أصحابك، فيشيرون عليك، وتعود فتشاورهم؛ فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك(٢)، وقال له أيضاً: لكأنك تريدنا يا رسول الله"، قال: أجل، قال: "فقد آمنا بك، وصدَّقناك وشهدنا أن ما جئت هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً، إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله"، فسُرَّ الرسول ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: "سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني انظر الآن إلى مصارع القوم غداً"(٣).

ونعود إلى الآيات وحقائقها لنثور الدلالات ونستبين وقائع نفسية لم تفصلها السيرة، لما لهذه الدلالات من دروس وعبر تستحق التأمل.

فقد ذكرت الآيات أن فريقا من المؤمنين كانوا يكرهون القتال، وأن منهم من جادل في ذلك جدالا شديدا، وتذهب بنا الآية إلى العمق النفسي لحال البعض ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ

(١) انظر: جامع البخاري، كتاب المغازي باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] رقم (٣٧٣٦).
(٢) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٥.
(٣) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٤، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦١٥، وأصل الرواية في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر رقم (١٧٧٩).

بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦] لبيان ذلك الخوف والاضطرابِ الذي حصل عند فريقٍ من المؤمنينَ ممن خرج مع الرسول ﷺ للعيرِ لا للقتالِ، والآية تبيّنُ أن ذلك الجدالَ حصل بعد ما تبيَّن لهم الأمر بالقتال، أو كما في الآية: بعدما تبين لهم الحق -الذي هو القتال[١]-، والجدال في أصل اللغة اشتداد الخصومة، أو هو "الخصام مما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها"[٢].

هذا السياق القرآني له دور في واقعية التعامل مع النفس البشرية فهو يعلمنا كيف نستوعب مواقف المقاتلين في المعارك ولا نغفل عن قصور الطاقة البشرية مهما بلغ الإيمان في القلب، وأن الخوف والتردد فطرة بشرية في مواجهة الواقع، ولا يقلل من الإيمان، فإن الله تعالى لم ينف عن الكارهين والمجادلين الإيمان بل أثبته لهم فقال ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥] ثم قال –والضمير يعود للمؤمنين– ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦]، فالحق – الذي هو القتال – تبين لهم، وهناك وعد من الله بالظفر، ومع ذلك فالتردد والخوف والميل نحو الحلول السهلة فطرة ورغبة بشرية لا يمكن اقتلاعها، يقول ابن عباس ﷺ: "فكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما"[٣]، ولكن يعالجها الإيمان المستقر بالنفس ويدافعها اليقين بنصر الله، ويؤكد ذلك السلوك الإيماني بعد ذلك من الإقدام والثبات والعمل.

ويستشيرهم رسول الله ﷺ في لقاء العدو، فيجادلونه: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، فيضعنا القرآن في داخل الصراع لنعيشه وجداناً، لقد وصل الجدال فيهم إلى حالة

(١) انظر جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٢، والحق في الآية الأولى بمعنى إظهار دين الله كما في حاشية زاده على البيضاوي، ٤/ ٢٩٦.
(٢) المصباح المنير للفيومي، ١/ ٢٨ مادة جدل.
(٣) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٥.

كحالة الرجل الذي يسوقه مجهولون جلاوزة وهو يدافعهم .. يرى الموت أمامه؛ وهو يقاوم ويعالج ...، وأنفسهم تتشوف إلى غير ذات الشوكة ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧] ليغنموها باردة لقلة رجالها وعتادها وعددها.

ثم لنقف وقفة أخرى عند قوله تعالى: ﴿الشَّوْكَةِ﴾ فقد آثرها القرآن على لفظ "الضعيفة" مثلاً، أو غيرها من الألفاظ التي تؤدي المعنى المتقارب؛ ذلك لأن الشوكة تستعمل لشدة البأس(١)، فالعير، لم تكن عير حرب بل عير تجارة، فليست ذات بأس وقوة، وهذا يناسب حالهم لما خرجوا من المدينة، فإنهم خرجوا بغير ذي شوكة، فالذي يَخرج للحرب يتهيَّأ لها ما استطاع من قوة، بكثرة العدة والعدد والمدد، ليصير ذا منعة، وهم لم يفعلوا ذلك؛ لأن الهدف هو عير التجارة ولا تحتاج إلى ذلك، وعبّر القرآن عن رغبتهم بالودِّ؛ لأن العير كانت أقرب لأنفسهم ولأن استحواذها هو المحبب إلى قلوبهم، لكن لا محل لهذا الود والميل إذا خالف إرادة الله تعالى وأمره، لأن الله تعالى يريد ﴿أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنفال: ٧] التي أمركم بها لقتال أهل الكفر، ويريد أن يستأصل أهل الكفر من جذورهم بقطع دابرهم.

المطلب الثاني: خروج قريش للقتال

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ(٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٤٨)﴾ [الأنفال: ٤٧- ٤٨].

(١) المصباح المنير للفيومي، ١/ ٤٤٧.

في رحاب الآيات

ننتقل بهذه الآيات إلى الفريق الآخر؛ لنستعرض الحقائق التي يذكرها القرآن في كيفية خروجهم والمواقف التي جرت في أثناء ذلك، فالآيات تبين لنا أن قريشا خرجت (بطراً) عندما أصابها الغرور والعجب بكثرة العدد واكتمال العدة، وزاد على ذلك حب السمعة وتعزيز هيبة قريش بين القبائل (رئاء الناس)، وجاءتا (بطرا ورئاء) بصيغة المصدر لبيان تأصل هاتين الصفتين في المشركين[1]، ثم جاء (يصدون عن سبيل الله) بالمضارع لبيان أن هذا العزم كان يتجدد فيهم في كل مرحلة من مراحل خروجهم، وهكذا هو سلوك المستكبرين المتعالين في الأرض الذين يرون في الإسلام خطرا على مصالحهم؛ تتعلق آمالهم بالماديات ويعولون في ظهورهم عليها؛ فإن الغرور والعجب وحب الظهور يستحوذ على كيانهم وفكرهم وسلوكهم، فيجعلهم يجددون المحاولة لإشباع جبروتهم.

وتبين لنا السيرة تفاصيل ما أجمل في هذه الآيات، وتروي أن أبا سفيان أرسل إلى قريش بعدما رأى أنه نجا بالعير: "إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا"، فقال أبو جهل بن هشام: "والله لا نرجع حتى نرد بدرًا-وكان بدر موسمًا من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كلَّ عام-فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجُزُر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا"[2].

قال ابن إسحاق: "وقد ارتحلت قريش حتى أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوّب من العقنقل-وهو الكثيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي- قال: "اللهم هذه قريش

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٠/ ٣٣.
(٢) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٢، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦١٨-٦١٩.

أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم أحنهم الغداة"[١]، وعن قتادة قال "وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال يومئذٍ: اللهم إن قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادّك ورسولك"[٢].

ثم ترجع بنا الآيات إلى ما قبل الخروج، عندما كانت قريش تهيئ نفسها للخروج، وتذكر لنا دور الشيطان في طمس بصيرتهم، عندما خافت قريش من بني كنانة-وكان بينهما دمٌ- وخافت غدرها.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: "لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر-يعني من الحرب-، فكاد ذلك أن يثبطهم، [فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا][٣]، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المُدلجي، وكان من أشراف بني كنانة[٤]، فقال: أنا جار لكم من أن يأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعاً"[٥]، قال ابن إسحاق: "فلما تراءت الفئتان، ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوّهم، نكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم"[٦].

وعن طلحة بن عبيد الله بن كَريز أن رسول الله ﷺ قال: "ما رؤي إبليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة، والعفو

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ٣/ ٣٥، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٢٧٣.
(٢) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٤.
(٣) ما بين قوسين من السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦١٠، وهي زيادة عن النص، لتوضيح المعنى، واكتمال الحادثة والفكرة.
(٤) حاشية الملا زاده على تفسير البيضاوي، ٢/ ٣١٠، وانظر سبب العداوة بين قريش وبني كنانة السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦١٠-٦١١.
(٥) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٤، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦١٢.
(٦) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٤.

عن الذنوب، إلا ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل يزع الملائكة"[١].

وتبقى هذه المقابلة بين الخروجين – أعني خروج المؤمنين وخروج المشركين إلى المعركة – درسا للأجيال المؤمنة إلى يوم القيامة، وتعليما للمسلمين من تاريخهم لتصحيح مقاصدهم وتعزيز ثقتهم بربهم؛ ولذلك استهلت الآيات بالتوجه إلى المؤمنين بالنهي عن أن يكون مثل الذين خرجوا بطرا ورياء، وتحذيرا من تلبس إبليس بما يزل قدمهم عن الحق ويوردهم المهالك.

المطلب الثالث: استفتاح أبي جهل والمشركين

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

في رحاب الآية

وهنا موقف آخر من سلوك المشركين عند عزمهم على قتال النبي ﷺ، إذ لم يقف فجور المشركين عند البطر ورئاء الناس، بل زاد فيهم الغرور حتى أعمى قلوبهم وطمس بصيرتهم عن مراجعة أنفسهم، فنقلهم استكبارهم إلى اعتقادهم أنهم على حق، وأن الله سينصرهم!، وإنه لمن دواعي الدهشة عندما ترى ظالمًا يسأل القاضي أن يحكم بينه وبين غريمه بالحق والعدل.

لقد وصل الأمر عند هؤلاء إلى أن طلبوا من الله الفصل بينهم وبين نبيِّه ﷺ، قال تعالى:

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب المناسك باب فضل يوم عرفة برقم (١٤٦١)، برواية أبي مصعب الزهري.

﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ [الأنفال: ١٩] "تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين"(١)، فقد جاءكم ما سألتم ﴿فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، أي: لقد نصرت ما قلتم، فأحنتكم لإنكم الأفجر لله والأقطع للرحم، وتبين لنا السيرة تفاصيل هذه الحقيقة القرآنية، فعن الزهري قال: استفتح أبو جهل بن هشام فقال: "اللهم أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم، فأحنه اليوم" يعني محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه(٢)، وعن السُّدِّي قال: "كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله، وقالوا: اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين، فقال الله عز وجل ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، يقول: نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ"(٣).

إن ما جرى في هذه الموقعة، إنما هي سنة الله في عباده، فإن تتركوا أيها المشركون الكفر وقتال النبي ﷺ، فهو خيركم في دنياكم وآخرتكم، وإن تترددوا لقتاله فقد علمتم سنة الله فيكم من قبلُ، فستعود لهلاككم بأيدي أوليائي، فيا أيها المؤمنون: لقد كانت بدر مدرسة لكم، بأن الفئة الغالبة هي الفئة التي تكون مع الله، ويكون الله معها، ومن كان الله معه فمن يكون أكثر منه؟، أما أنتم الذين اغتررتم بكثرة عددكم وعتادكم، واطمأننتم لشوكتكم، وبطرتم بأموالكم: ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩](٤).

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة، ٤/ ٣٢.

(٢) وانظر: جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٣٨، المغازي لابن شهاب الزهري، ص٦٢، السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٢١٠.

(٣) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٣٨.

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٣٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٧/ ٢٤٥.

المطلب الرابع : رؤيا النبي ﷺ

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٤٣)﴾ [الأنفال: ٤٣].

في رحاب الآية

قد علمت مما مرَّ -عند خروج المؤمنين - حالة المؤمنين من خوف بعضهم مع قلة عددهم، وكيف جادلت تلك الفئة منهم رسول الله ﷺ عندما استشارهم وندبهم للقتال ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، فكان لابد من تطييب النفوس القلقة، وتطمين القلوب الخائفة، لينساق كل فريق إلى قضاء الله وينفذ الله سنته في المؤمنين والكافرين، ويحق الحق ويبطل الباطل، فكان من تدبير الخالق العليم بذات الصدور أن أرى نبيه ﷺ عدوّه في المنام قليلًا، ورؤيا الأنبياء حق، لقد كانت هذه الرؤيا الربانية بشارة لنبينا محمد ﷺ، ودفعا معنويا عظيما لإقدام المؤمنين ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣]، إذ لو أن الله أرى نبيَّه عدوّه كثيرًا في منامه لخاف أصحابه، وتشرذموا بسبب نزاعهم الحاصل من ذلك الخوف ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [الأنفال: ٤٣] فإنه يعلم بما يجول في صدورهم وهو خبير بضعف نفوسهم؛ وورود الخواطر والدوافع النفسية التي تجعلهم مضطربين أحيانا وثابتين أخرى فثبتهم برؤية النبي ﷺ قلةَ العدوّ، ﴿وَلَٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(٤٣)﴾ [الأنفال: ٤٣](١).

(١) انظر تفسير الآية عند ابن جرير في تفسيره جامع البيان، ١٠/ ٩-١٠، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ١٦.

المبحث الثاني
في أرض المعركة

المطلب الأول: مواقع الفريقين وعير أبي سفيان

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

في رحاب الآية:

إن هذه الآية تضعنا أمام مشهد عظيم، فهي مع ما تثبته من حقيقة التقاء الفريقين دون ميعاد؛ فإنها تعين حقيقة الموقع الذي سيقضي الله فيه أمره، إذ تحدد مواقع الفريقين كأننا نراهما عيانا ... لنعيش المعركة بمثل المعنويات التي عاشها الصحابة، ففريق المسلمين في العدوة الدنيا: "بشفير الوادي بالجانب الأدنى إلى المدينة"(١) إلى جانبهم قُلُب في بطن وادي يَلْيَل ببدر(٢)، وفريق الكفار بالجانب الأقصى بالعدوة القصوى، أي: "بشفير الوادي الأقصى إلى مكة"(٣) خلف العقنقل في بطن الوادي يَلْيَل(٤)، وأما عير قريش التي عليها أبو سفيان؛ فقد

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٨/ ١٥.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٢٠، قُلُب: جمع قليب وهو البئر، انظر المصباح المنير للفيومي، ٢/ ٧٠٣، مادة قلب.
(٣) انظر جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ٨.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦١٩، وانظر مصورات المعركة وخارطة مسار الفريقين وتموضعها في كتاب بدر الكبرى المدينة والغزوة د. محمد عبده يماني، ص١٥٨، تبين أرض المعركة وص١٣٣، خارطة تبين مسار الجيوش وفي الكتاب مصورات عن كل منطقة ذَ في السير من العدوة الدنيا والقصوى والوسطى، هذا موقع معركة بدر على الخارطة: (باركود) ورقمي: QQCQ+VV5، الشهداء، بدر ٤٦٣٥٤.

أخذوا طريق البحر، في موضع أسفل منهم إلى ساحل البحر فيه الأمتعة[١].

فلم يكن هذا اللقاء في الحسبان، فالرسول ﷺ كان قد خرج ومن معه للعير، دون تجهز للقتال، والعير مقبلةٌ من الشام، وأبو جهل خرج لنجدة العير ولكنه متجهز لقتال، فهربت العير وإذ كل فريق يرى نفسه أمام عدوّه، وقد أخذ كل منهما مكانه، في أماكن مقدرة ويكأن الله تعالى وضع المؤمنين هنا ووضع المشركين هناك في وقت واحد ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال: ٤٢]، لقد أوجزت هذه الآية بكلمات قليلة الدلالة المكانية الدقيقة للمعركة وموقع العير، فخروجكم أيها الفريقان كان لغير ميعاد، وطبيعة الأرض لا تسمح بهذا اللقاء في زمن واحد ومدة يسيرة كما أن حركة الجنود إلى المعارك يلزمها التخطيط مما قد يؤخر وصولها[٢].

المطلب الثاني: موقف المنافقين

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

في رحاب الآية

هذه الآية تذكر حقيقة أخرى لطرف ثالث في المعركة مضطربين مذبذبين يميلون حيث مالت القوة، ترسخ في يقينهم: أن العتاد القوي والعدد الكثير علة النصر، وهم فريق من

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٨/ ١٥، وانظر أيضا: جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ٨.

(٢) قصر بعض المفسرين سبب الاختلاف في الميعاد إلى عدد المقاتلين، فقال: "لاختلفتم في الميعاد لكثرة عدوّكم وقلة عددكم" جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ٩ ولكني جمعت معه سبب الأرض بالنظر إلى سياق الآية إذ جاء ذكر اختلاف الميعاد في سياق بيان موقع المعركة مما دل على أن طبيعة الأرض والوصول إليها له أثر في التوقيت الزماني لوصول الفريقين والله أعلم.

الأوس والخزرج[١]، وبعض من أسلم من قريش في مكة على ضعف في إسلامهم ولم يهاجروا؛ خرجوا مع المشركين إلى بدر وقالوا إن رأينا محمداً لأكثر عددا لحقنا به، وإن رأينا قومنا أكثر بقينا مع قومنا، وبعد أن التقى الفريقان، ورأى المشركون المسلمين قليلي العدد والعدة قال هؤلاء: "غر هؤلاء دينهم كما ورد عن عامر قال: كان ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: غرَّ هؤلاء دينهم[٢].

وعن مجاهد قال: "فئة من قريش، قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أميَّة بن خلف، والعاصي بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم؛ فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: غرَّ هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوِّهم"[٣].

عن ابن جريج قال: "لما دنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلل المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: غرَّ هؤلاء دينهم"[٤].

وعموما فإن ما سبق يدلنا على أن النفاق كان موجودا في مكة ولكنه قليل جدا، ولم يكن ظاهراً بل لم يكن ظاهرة إلا في المدينة بعد بدر، وأن طباع المنافقين في مكة وفي المدينة متشابهة في تعظيم الأسباب، وهكذا ما تزال موازين الذين في قلوبهم مرض تتعلق بالأسباب المادية وتغفل عن خالقها؛ ويطمس الله على بصيرتهم فينسوا قوة الله ومكره فيهم، لقد أرى

(١) كما ذكر الرازي في تفسيره الكبير، ١٥/ ٤٩٣.
(٢) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٦، وعند السيوطي من حديث طويل قال: "روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: "وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر (غر هؤلاء دينهم) فأنزل الله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ..﴾". لباب النقول في أسباب النزول، ص٩٩.
(٣) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٦.
(٤) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٦.

الله نبيَّه المشركين قليلًا في منامه، ثم أرى الله المؤمنين عدوهم قليلا؛ ليحفزهم على الإقدام ويطمئن قلوبهم، وهذه الرؤية حقيقية وإيمانية، فلقد رأى المسلمون عدوهم قليلي العدد بعين الحقيقة البصرية، ورأوهم قليلي العدد والشوكة بعين الحقيقة الإيمانية، فمن كان مع الله فهو كثير.

وأما المشركون فلقد رأوا المسلين قليلي العدد بعين البصر المادية، فيستهينون بالمؤمنين ويستهتروا بالاستعداد لهم، وكذلك كان المنافقون يرون كما رأى المشركون، أن عدد المؤمنين قليلٌ، فكيف لهؤلاء القلة في عَدَدهم وعُدَدِهم أن يصمدوا أمام مثلَيهم. ؟!، فقالوا وهم يستهزئون من المؤمنين ويسخرون: غرَّ هؤلاء دينهم، "إنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك"(١).

أي إن هؤلاء القلة انخدعوا بدينهم، وزُيِّن لهم الخروج لقتالنا، كأنهم يجهلون عددنا وعتادنا وقوَّتنا، وغفلوا أننا في منعة فهم يجترئون علينا..!!(٢).

إن ذكر المواقف النفسية لأطراف الموجودين في المعركة يجعلنا نعيش تفاصيلها ونحلل مجرياتها وكأنها تحصل الآن من جديد، وتدفعنا إلى إدراك حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة، فالبعد المادي للمعارك أمر مهم لا يغفل عنه عاقل قبل الخروج إلى المعركة، وهذا ما كان يهتم له المؤمنون؛ ولكن المؤمن يضيف إليه بعدا أبعد بكثير من سيف أو خيل، إنه البعد الإيماني والثقة بالله، والتوكل على الله، وهذا البعد الإيماني يقلب الجبن إلى شجاعة، والهزيمة إلى إقدام، ويجعل من المصيبة سبباً للقوة، ويجعل القليل كثيرا، وتجعل بصيرة المؤمن تخترق جدار المادة لترى الواقع على حقيقته، وتبصر الحقيقة التي سطرتها الآية ووضعت ميزانها

(١) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٦ عن ابن جريج.
(٢) راجع معنى كلمة (عزر) في المصباح المنير للفيومي، ٢/ ٤٤٤-٤٤٥.

الدقيق: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، فالعزيز يرفع شأن من يلجأ إليه وينتصر به، ويجري المقادير وفق تدبيره وإرادته.

المطلب الثالث: تأييد الله المؤمنين بالنعاس والمطر

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ(١)﴾ [الأنفال: ١١].

في رحاب الآية

وها نحن الآن في موقف جديد تخبرنا فيه الآية عن حقائق أخرى حصلت قبيل التحام الفريقين، كان ذلك قبل أن ينفذ رسول الله ﷺ ما أشار به الحباب بن المنذر من النزول على ماء بدر، وتغوير ما وراءها من القُلُب(١).

فالأمور تزداد تأزمًا، الزمن يقترب من المواجهة بين الفريقين ليعلن عن بداية تحول في تاريخ الأرض، والنفوس تزداد اضطرابًا وقلقًا كلما اقترب الزمان من تلك البداية، والخوف لا يزال له الأثر في تلك النفوس، فالمسلمون أمام مجابهة عسكرية لم تكن بحسبانهم وهم قلة، والهموم تزيد.

وهم على هذه الحالة يصيب بعضهم الجنابة، ولا يستطيع الاغتسال ولم يكن قد رُخِّصَ بالتيمم بعد؛ ويطلب الآخر الماء للشرب فيجده قليلاً؛ لأن قريشا غلبت المسلمين على الماء، فيتدخل الشيطان لينفث الخوف في المؤمنين ويحزنهم، ولكن أنى له ذلك والله ولي المؤمنين

(١) رواه أبو داود في المراسيل، ص٢٤٠، رقم (٣١٨)، ذكر البيهقي في سننه، ٩/ ٨٤، أن له أيضا روايتين عن علي ﷺ في أمر النبي ﷺ بتغوير قُلُب بدر وأنهما ضعيفتان، وقد ذكر القصة ابن القيم في زاد المعاد، ٣/ ١٥٦.

يظهر عنايته ونصره لعباده الصادقين. فكان الماء الذي نزل طهارة للمؤمنين من الحدث الأكبر والأصغر، وحدث الشيطان الذي نفثه في القلوب.

يقول الضحّاك: "إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر، وغلبوا المسلمين عليه، فأصاب المسلمين الظمأ، وصلوا محدثين مجنبين، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، ووسوس فيها: أنكم تزعمون أنكم أولياء الله، وأن محمدًا نبيُّ الله، وقد غُلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين، فأمطر الله السماء حتى سال كل واد، فشرب المسلمون وملأوا أسقيتهم. وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة، وثبت الله به الأقدام، وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوّهم رملة لا تجوزها الدواب، ولا يمشي فيها الماشي إلا بجهد، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الأقدام"[1].

أنزل الله رحمته وسكينته عليهم، فأذهب المطر وساوس الشيطان وطهر عقولهم منها، طهر نفوسهم من آثار هذه الوساوس، واطمأنت نفوس المسلمين لوعد الله وزادت ثقتهم بربهم، فزال الخوف وأمنت النفوس؛ فغشيهم النعاس، وأحاط بهم حتى لم يترك أحدًا، وكأن أمرا لم يكن، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]، ولفظ ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾، ولفظ ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، ولفظ ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾؛ كلها تشترك في دلالتها على ما كان في بواطن النفوس من القلق الذي يذهب النوم ويقض المضاجع، والاضطراب الذي لا تستقر معه جارحة ولا يأمن فيه إنسان على نفسه؛ فأبدلها الله بالسكينة وأعقبها بالنوم ثم الغلبة، ثم تنتقل بنا الآية الكريمة إلى مشهد آخر، يصور لنا حادثة

(١) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٣١، وروى ابن جرير أيضاً نحوه عن ابن عباس والسُّدِّي المصدر نفسه، ٩/ ١٣٠.

أخرى مما حصل من تأييد الله تعالى لأوليائه قبل المعركة، فعندما أخذ كل فريق مكانه الذي أراده الله، المسلمون في العدوة الدنيا، والكفار في العدوة القصوى، كان المسلمون على أرض ذات رملة هشاء: "لا تجوزها الدواب ولا يمشي فيها الماشي إلا بجهد"، والماء بعيد عنهم قريب من عدوهم، فالمطر الذي نزل جعل رمال الصحراء تتماسك لتصير صعيدًا جلدًا، تثبت عليها أقدام المؤمنين، ويمشون إلى بئر بدر، ويسبقون عدوّهم له، وينعمون بالماء، ويقاتلون عدوّهم بجلد؛ كذلك كان هذا الماء سببًا جعل قلوبهم، أو ذرات قلوبهم التي كادت أن تتطاير وتتفلت من عقالها تَتماسك متيقنة بنصر الله، وخاصة لما رأوا الآيات... ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ(١١)﴾ [الأنفال: ١١]، لقد نزل الماء حتى سال كل وادٍ، فشرب المسلمون وملأوا أسقيتهم، وسقوا دوابهم واغتسلوا من الحدثين.

إذن؛ فإن إحداث الانفصام النفسي في كيان الجندي في المعركة، من خلال التشكيك في العقائد، وزعزعة الإيمان، من أهم أسباب وعوامل الهزيمة...وصرف ذلك يكون بالعناية العقائدية للجندي المسلم وزرع ثقته بالله وتعليقه بخالقه.

المبحث الثالث

المعركة

المطلب الأول: استغاثة الرسول ﷺ والاستجابة:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ(٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(١٠)﴾ [الأنفال: ٩- ١٠].

في رحاب الآية

إنه لقاء فاصل، وإنها معركة حاسمة، كان قدر الله ولطفه وعنايته وتربيته للمسلمين مشهودة في كل مرحلة وموقف من مراحل ومواقف المعركة، لقد تربى المسلمون في المواقف السابقة على تسليم الأمر لله، ورأوا فيها عناية الله، أما وقد حصل اللقاء فحتما سيكون الالتجاء إلى الله، وقد حصل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]؛ إن لفظ ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ ليعبّر عن مدى الشدة(١)التي كان بها المسلمون، والهمِّ الذي ركب ظهورهم؛ إنهم سيقاتلون ألفًا وهم ثلاثمائة ونيِّف، فبشرتنا فاء التعقيب بسرعة الاستجابة للمخلصين المضطرين، لنشهد الفرحة الإيمانية لدى الفئة الصادقة والعناية الربانية بهم، عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعدَّتِهم ونظر إلى أصحابه نيِّفًا على ثلاثمائة، فاستقبل القبلة فجعل يدعو يقول: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، وأخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فوضع رداءه عليه ثم التزمه من ورائه، ثم قال: "كفاك يا نبي

(١) ينظر: المصباح المنير للفيومي، ٢/ ٦٢٤ مادة غوث.

الله، بأبي وأمي مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك"، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩][١].

ولكن الله الذي وعدهم النصر لم يترك ذلك الهم يحني ظهورهم، بل أعقب استغاثتهم بمدد من عنده، فقال: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

إن كلمة ﴿مُمِدُّكُم﴾[٢] لترسم في ذهنك صورة حركة الإمداد بالملائكة، إنهم يتلون بعضهم بعضًا، كتيبة ملائكة تتلوها مباشرة كتيبة ملائكية، إنها معركة شاخصة بحركاتها وخَطَراتِها وحماسها من خلال العبارة القرآنية المصورة المتحركة المحيية للمشهد الذي كأنه يكون الآن؛ فها هو رسول الله ﷺ؛ خفق خفقة وهو في العريش ثم انتبه، فقال: "أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسٍ يقوده على ثناياه النقع"[٣].

وعن علي أيضًا قال: قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر يوم بدر: "مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيلُ ملكٌ عظيم يشهد القتالَ أو يكون في الصف"[٤].

إنه جيش الملائكة لم ينزل عشوائياً، وإنما منظما في ترادفه وتزيع هذا الترادف وتعيين الوظائف للملائكة كما سيأتي بإذن الله، ليعلمنا الله أن التنظيم في المعارك من أسباب النصر، ليكون هذا السبب إضافة مع صدق التوكل والإلتجاء إلى الله، والإخلاص في الانتصار لدينه، لقد كان الإمداد بالملائكة تبشيرا للمسلمين وتطمينا لقلوبهم المضطربة بحكم الطبيعة

(١) صحيح مسلم، الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم رقم (١٧٦٣).
(٢) المصباح المنير للفيومي، ١/ ٣٠٦، وانظر جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٧-١٢٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطب، ٧/ ٢٣٦، وانظر الخلاف فيها، وأثبت هنا ما رأيته راجحًا والله أعلم.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٦٢٧، وانظر: الجامع الصحيح للبخاري ، كتاب المغازي باب دعاء الرسول على المشركين رقم (٣٧٣٧)
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣/ ٧٢، برقم (٤٤٣٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وأبو يعلى في مسنده، ١/ ٢٣٨، برقم (٣٤٠)، وذكر الهيثمي مجمع الزوائد، ٦/ ١٠٨ بأن رجاله رجال الصحيح.

البشرية، ولكن ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(١٠)﴾ [الأنفال: ١٠].

المطلب الثاني: الإمداد بالملائكة وقتالهم في بدر:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ(١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ(١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(١٢٦)﴾ [آل عمران: ١٢٤- ١٢٦].

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ(١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١٣)﴾ [الأنفال: ١٢- ١٣].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ(٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ(٥١)﴾ [الأنفال: ٥٠- ٥١].

في رحاب الآيات

نحن الآن أمام مشهد من عجائب معركة بدر، أمام صورة متحركة حماسيَّة وعنيفة، ترى من خلالها الوظيفة الربانية للملائكة في معركة بدر، لنتعلم من ذل أهمية توزيع الوظائف والمهام في إدارة المعركة، مهما بلغت القوة مبلغها.

عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ فقال: "اللهم ربَّنا، أنزلت عليَّ الكتاب وأمرتني بالقتال، ووعدتني بالنصر، ولا تخلف الميعاد"، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤](١).

تبين الآيات السابقة أن بشارة النصر بالإمداد بالملائكة كانت على لسان النبيِّ ﷺ، ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ وقد خصّه الله بالذكر هنا تشريفًا له ﷺ، ولبيان حتمية الإمداد بالملائكة لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد جاء القول مضارعًا: "تَقُولُ" لاستحضار تلك الحال في النفوس، أي لقد كان نصركم حين قوله لكم أيها المؤمنون لّما أظهرتم عجزكم عن المقاتلة لقلة عددكم وعدم تجهزكم للمعركة ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤]، وأما الاستفهامُ التقريري في الآية مع ذكر الربوبية؛ ليدل على ما في نفوس المؤمنين حينذاك من حالة الاضطراب والخوف الفطري الذي يعتري البشر في مثل هذه المواقف بسبب قلة عددهم، وكثرة عدوهم، من طريقة القرآن العجيبة في الدلالة على أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس؛ أي اذكروا نعمة الله عليكم ووعده لكم بالنصر وعنايته بكم ومن ذلك ما قاله رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى يبشركم بإمداد الله الذي ما تركككم في المواقف السابقة، فلا تخافوا ولا تضطربوا من قلة عددكم، ثم جاء الجواب: "بَلَى"، أي: إن ذلك سيكفيكم، وها هو الآن لن يترككم بل سيرسل بالملائكة منزلين ومردفين جزاء صبركم وطاعتكم، ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هُذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥]، في هذا النصِّ تصويرٌ لسرعةِ الإمداد، وتصويرٌ أيضًا لقتالِ الكفارِ في قوله: ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هُذَا﴾، وأنَّ حالتَهُم اندفاعيَّة(٢)، لا تريثَ

(١) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٧.

(٢) قال البخاري: "فورهم: غضبهم" الجامع الصحيح، المغازي باب قصة غزوة بدر، ٣/ ١٣٤٩، وهذا على رأي من جعل (ويأتوكم من فورهم) عائد على المشركين، يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير، ٤/ ٧٥: "وجعل جمع من المفسرين ضميري الغيبة في قوله: (ويأتوكم من فورهم) عائدين إلى طائفة من المشركين، بلغ المسلمين أنهم سيمدون جيش العدو يوم بدر، وهم كرز بن جابر المحاربي، ومن=

فيها ولا خطةَ ولا تفكير، ومع هذه الاندفاعية والسرعة التي هي خبط عشواء-التي من مظانِّهَا عدم لحوق المدد عادة-لشدة وسرعة الهموم ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥] أي من ساعتهم هذه.

وبربط الآيات مع بعضها في وصف الإمداد بالملائكة، تجد أن القرآن وصفهم بقوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾، وبقوله: ﴿مُنْزَلِينَ﴾، وبقوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾.

فقد كانت صورة الإنزال بالإرداف، أي: إنّ كلَّ ملكٍ يَرْدُفُ الآخر ويتبعه(١)، ثم زاد الإمداد في المعركة، فصارت الملائكة تنزل كلها، فكان الإمداد الثاني ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف وكانوا مسوِّمين، أي معلّمين أنفسهم أو خيلهم، قال رسول الله ﷺ في ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: "معلمين، وكان سِيمَا الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمر"(٢).

إن الإمداد بالملائكة كان حقيقة ملموسة(٣)، "لمسها المسلمون في حينها، ولمستها قريش أيضًا، قال مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرًا-وقد ذهب بصره-: "لو كنت اليوم ببدر ومعي

=معه، فشق ذلك على المسلمين وخافوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ الآية، وعليه درج «الكشاف» ومتابعوه. فيكون معاد الضميرين غير مذكور في الكلام، ولكنه معلوم للناس الذين حضروا يوم بدر، وحينئذ يكون يأتوكم معطوفا على الشرط: أي إن صبرتم واتقيتم وأتاكم كرز وأصحابه يعاونون المشركين عليكم يمددكم ربكم بأكثر من ألف ومن ثلاثة آلاف بخمسة آلاف، قالوا فبلغت كرزا وأصحابه هزيمة المشركين يوم بدر فعدل عن إمدادهم فلم يمدهم الله بالملائكة، أي بالملائكة الزائدين على الألف".

(١) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٢٧.

(٢) رواه الطبراني، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد، وابن مردويه كما عند ابن كثير، ١/ ٣٥٣، ط العصرونية، قال الهيثمي: "وفيه عمار بن أبي مالك الجنبي ضعفه الأزدي"، مجمع الزوائد، ٦/ ٨٣.

(٣) يقول ابن عباس: ".. ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون" تاريخ الطبري، ٢/ ١٥٤، وانظر أيضًا البداية والنهاية لابن كثير، ٣/ ٢٨١.

بصري لأريتكم الشِّعبَ الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى"[١].

وقال جبير بن مطعم: "رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود مبثوث حتى امتلأ الوادي، فلم أشك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم"[٢].

ثم تختم الآية بأسلوب الحصر الذي يعزز الاعتقاد وينفي كل احتمال مخالف من القلب؛ فنبه سبحانه وتعالى أن انتصاركم هذا ليس لأن الملائكة نزلت، وإنما النصر على الحقيقة كما قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وأما الإمداد بالملائكة فقد كان بشرى لكم، وطمأنينة لقلوبكم التي كادت أن تيأس من النصر.

أما أنتم أيتها الملائكة المنزلين المسوّمين فوظيفتكم: أن تثبتوا الذين آمنوا، وأن تضربوا فوق الأعناق وأن تضربوا من الكفار كلَّ بنان، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢]. إن قوله: ﴿رَبُّكَ﴾ في هذا السياق مضافة إلى النبي ﷺ جاءت للدلالة على أن الله قدر كل ذلك عناية بك أيها النبي ﷺ، وإن قوله تعالى ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ لدليل جليٌّ للحالة التي كان عليها الكفار في المعركة، كيف وقد ألقى الله الرعب فيهم، وإن تعدّي فعل الإلقاء بالظرف (في) لإشارةٌ إلى تمكن الرعب فيهم، وخاصة بما يحتويه الفعل "ألقي" معنى الطرح والوضع[٣] ، ولو قسمناه إلى فقرات ستجد فيه ترتيبًا عجيبًا أيضًا:

١. إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم
٢. فثبتوا الذين آمنوا.

(١) البداية والنهاية، ٣/ ٢٨٠، والإمتاع للمقريزي، ١/ ٨٧.
(٢) البداية والنهاية، ٣/ ٢٨٢، ومثله أيضًا عن حكيم بن حزام في البداية والنهاية لابن كثير، ٣/ ٢٨١.
(٣) انظر المصباح المنير للفيومي، ٢/ ٥٥٨ مادة لقي-لقيته.

٣. سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب.

٤. فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان.

إنها حقيقة تاريخية أن يكون تثبيت المؤمنين قبل إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وأن يكون ضرب الأعناق والبنان بعد إلقاء الرعب، وإن استعمال كلمة "القلوب" بدل "النفوس" مثلا، لنعلم أن مكان الطمأنينة والتفكير والتخطيط قد تمكن فيه الرعب؛ فمن استحكم الرعب في محل تفكيره وطمأنينته يفقد القدرة على التخطيط للمعركة وتخور قواه، وستجده يلهث باحثًا عن مفرٍّ أو ملجأٍ أو مغارات يأوي إليها.

وقد سأل أبو لهب أبا سفيان بن الحارث عند وصوله مكة-وكان مع قريش-عن خبر بدر وما الذي حدث حتى هزمت قريش؟، فقال: "والله ما هو إلا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله ما لمتُ الناس، لقِينا رجالًا بيضًا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض، ما يقوم لها شيء"، فقال أبو رافع مولى العباس: "والله تلك الملائكة"، فرفع أبو لهب يده وضرب وجه أبي رافع ضربة شديدة[1].

إنك لترى بعين التدبر في تكرار "اضربوا" في قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ(١٢)﴾ [الأنفال: ١٢] شدة الغضب، وتشهد الاستعلاء مع التمكن بلفظ "فوق الأعناق"، وتشعر بلزوم الإثخان بالقتل بلفظ "كل بنان"؛ كل ذلك كان من جملة أعمال الملائكة في المعركة لتحقيق مراد الله في قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ(١٢٧)﴾ [آل عمران: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ(٧)﴾ [الأنفال: ٧]، وقد تحقق هذا الأمر الرباني في أثناء المعركة، إذ يعرضه القرآن بصورة تبعث في النفس الرهبة، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ

(١) السيرة الحلبية نور الدين الحلبي، ٢/ ٤٤٤-٤٤٥.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]، فإن مجيئ الفعل المضارع "ترى، يتوفى، يضربون" ليعيش القارئ لحظة الحدث؛ ويشهد حركتها وأثرها، وتنتهي الآية بالانتقال إلى فعل الأمر: ﴿وَذُوقُوا﴾ لنشهد لحظة الحساب الأخروي مباشرة؛ كما شهدنا لحظة الحساب الدنيوي، وكأنما جهنم بنارها وحريقها تنتظرهم مترقبة تحقيق الوعيد، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥١].

لم يكن حديث القرآن عن الإمداد بالملائكة حديثا تعبيريا؛ كما أراد تصويره بعض المتأثرين بالمادية والتقريب من العقل الغربي، بل كان الإمداد بالملائكة حقيقة واقعة فصلتها السنة، فعن ابن عباس قال: "بينما رجلٌ من المسلمين يومئذٍ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ «صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»"(١).

قال ابن جريج، قال ابن عباس: "إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم"، وعن مجاهد: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إني حَمَلْتُ على رجلٍ من المشركين فذهبت لأضربه فندَّ رأسه، فقال: "سبقك إليه الملك"(٢).

ولْنقف الآن أمام سنّة أقامها الله لعباده، وعلَّق عليها نجاح وفلاح الأمور آجلًا أم عاجلًا، هذه السنة كالعلة المُطَّرِدَة أينما وجدت وجد معها التوفيق والتأييد والنصر: الصبر

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب إمداد الله بالملائكة في غزوة بدر، رقم (١٧٦٣)، وانظر: تاريخ الطبري، ٢/ ١٥٣.

(٢) انظر السيرة الحلبية نور الدين الحلبي، ٢/ ٤٠٧، والإمتاع للمقريزي، ١/ ٨٧-٨٨، تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/ ١٥٣-١٥٤، البداية والنهاية لابن كثير، ٣/ ٢٨٠-٢٨١.

والتقوى، فالتقوى لا تكون بدون إيمان، والصبر لازمُ التقوى، والمؤمن يبرهن على تقواه بالصبر على أمر الله، والله تعالى وعدهم بالزيادة إن صبروا واتقَوا؛ حثًا لهم عليها، وتعليمًا لنا بأن عنوان النصر في الحروب، وميزان القوى في المعارك، وأساس عوامل النصر على الغير إنما يكون بالصبر والتقوى.

والمراد بالصبر هنا؛ الصبر على العدو ومناهَضَتُه، والصبر على القتال؛ لأنه الأليق بالسياق، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٢٦)﴾ [البقرة: ٢١٦].

المطلب الثالث: قتال الفريقين وما حصل في المعركة

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ(١٣)﴾ [آل عمران: ١٣].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ(٤٤)﴾ [الأنفال: ٤٤].

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ(١٩)﴾ [الحج: ١٩].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ(١٨)﴾ [الأنفال: ١٧ – ١٨].

﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

في رحاب الآيات

إنَّه يوم الفرقان؛ ويتجلى الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان في هذه المواقف الثلاثة التي تصورها الآيات،

الموقف الأول: رؤية الفريقين لبعضهما، فقد علمت فيما سبق خوف المؤمنين من هذا اللقاء، ورأيت كيف أن الله كان يهيئ الأسباب لإنجاز قضائه؛ فطمأنهم أولاً بالوعد الذي أعطاهُم يوم خروجهم، ثم أرى الله نبيَّه في المنام قلة عدوّهم(١)، لتتهيأ النفوس لهذا اللقاء، ثم ساق كل فريق إلى موقعه يتبوأ مقاعد القتال، والآن بعد ما أخذ كلٌ موقعه وكافح كل فريق غريمه، يأتي تأييد الله تعالى مرةً أخرى للمؤمنين، فيرى المؤمنون الكافرين قليلًا لتذهب تلك الروعة من قلوبهم، ويرى الكافرون المؤمنين قليلًا "ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم"(٢)، عن عبدالله بن مسعود قال: "لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟، قال: أراهم مئة.، قال: فأسرنا رجلا منهم فقلنا: كم هم؟، قال: كنا ألفًا"(٣)، "ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة. فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) انظر للتوسع ما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ١٦ في التفريق بين الرؤيا المنامية وهذه الرؤيا.

(٢) جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ١٠.

(٣) أخرجه: ابن جرير في جامع البيان، ١٠/ ١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره، ٥/ ١٧١٠ برقم (٩١٢٤)، والثعالبي في الجواهر الحسان، ٣/ ٢٢، وقال في مجمع الزوائد، ٦/ ١١٢: "رواه الطبراني". ولم يذكر له حكما.

وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣]"[1]

لقد كان ذلك كله ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤]، فتشفى صدور المؤمنين بقتل عدوهم الذين غرهم إمهال الله لهم وصبر المؤمنين عليهم، ويتحقق وعد الله تعالى بهزيمة الجمع من المشركين كما قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥].

وتبدأ المعركة بالمبارزة الفردية بين الخصمين كما هي العادة عندهم في أول معاركهم، ولكن كل خصم جاء يمثل فئته باعتقادها وأخلاقها وإصرارها وعزمها، فاللقاء الآن لقاء سيف بعدما أعطى الكلام حجته واستفرغ أساليبه، اللقاء اليوم بين قوتين تمثل كل قوة مرتكزها الإيماني وولاءها العقدي، ليظهر الفرقان الرباني، ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحَج: ١٩] قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[2].

(١) وهذا الجمع بين الآيتين قاله ابن كثير في تفسيره ط: طيبة، ٤/ ٧٠، وهو الأولى برأيي مما ذكره ابن كثير عن السدي في تفسير آية آل عمران أنها في اختلاف الحالات فآية آل عمران كانت في قبل المعركة، وآية الأنفال كانت في المعركة، انظر تفسير ابن كثير ط: طيبة، ٢/ ١٧، ١٨، كما أن هذا الترجيح في الجمع بين الآيتين يجعل الضمير في "مثليهم" عائدا على أقرب مذكور وفيه إظهار المنة على المؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الكافرين وذهب إليه أبو السعود أيضًا، وانظر للتوسع في الأقوال التي قيلت في إرجاع الضمير في "مثليهم: جامع البيان لابن جرير، ١/ ١٣٢، البيضاوي في تفسيره، ١/ ١٥١، ابن كثير في التفسير ط: طيبة ٢/ ١٧، وأبو السعود في التفسير، ٢/ ١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب قتل أبي جهل برقم (٣٧٤٧).

وتنتهي المبارزة بين التوحيد والشرك، باشتعال أنوار الإيمان والهمة في قلوب الموحدين، وتنطفئ نار الفتنة بخذلان المشركين المعاندين، لينتقل ممثل الكفر بسيف الإيمان والحق والحجة ليقف بين يدي الله تعالى ليلقى مصيره المحتوم المذكور في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ(١٩)﴾ [الحج: ١٩]، ثم يلتقي الفريقان... ويبدأ الحَسُّ بالمشركين، ويهجم المؤمنون بنشوة إيمانية تعرم قلوبهم، وثقة بوعد الله بالنصر، يندفعون وكل ذرة فيهم موقنة بأن السيف يلوح بإذن الله، وأنه يقع على رقبة المشركين بإذن الله، وأن السهم يصيب بإذن الله، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ(١٨)﴾ [الأنفال: ١٧ – ١٨].

وإنك لتجد هذا المعنى جليًّا في صيغة المضارع ﴿لم﴾ ولكن الله هو الذي قتلهم، ألم يؤيّدكم أيها المؤمنون بالنصر، وألقى الرعب في قلوب أعدائكم، ألم يكن نصركم عليهم في هذه المعركة بعدما أراكم الدلائل الواضحة للتأييد الإلهي ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

الموقف الثاني في المعركة: رمي الرسول ﷺ الحصا في وجه العدو؛ "حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها ...ثم أمر الصحابة أن يصدقوا الحملة إثرها، ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله"(١)، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، قال ابن زيد: "أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت

(١) تفسير ابن كثير ط: طيبة، ٤/ ٣٠.

الوجوه»"، قال ابن عباس: "فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه من التراب من تلك القبضة فولوا مدبرين"، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم(١).

وعن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي، قالا: "لما دنا القوم بعضهم من بعض، أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال: "شاهت الوجوه"، فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾"(٢).

عن حكيم بن حزام قال: "لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طَسْت، ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا"(٣).

لقد كان ذلك كله ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]، "يعني: الأجر والنصر والغنيمة"(٤)؛ حتى تتم نعمة الله عليهم، ويظفر المؤمنون بالنصر والغنائم، وليشكروا الله أن أيَّدهم بهذا النصر وهيَّع له الأسباب.

وإنك لترى الآن مدى الراحة التي يشعر بها المؤمنون في المعركة وهم يرون

(١) أثر ابن زيد وابن عباس رضي الله عنهما أسندهما ابن جرير في جامع البيان، ٩/ ١٣٦، وانظر: مسند الإمام أحمد، ٣/ ٢٢٩، برقم (٢٧٦٣).

(٢) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٣٦، وقال الواحدي في أسباب النزول، ص٢٣٤: "وأكثر أهل التفسير أن الآية نزلت في رمي النبي عليه الصلاة والسلام القبضة من حصباء الوادي يوم بدر، حين قال للمشركين: شاهت الوجوه، ورماهم بتلك القبضة ورماهم بتلك القبضة فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيءٌ"، وقال ابن كثير: في التفسير ط: طيبة، ٤/ ٣١: "وقد روي في هذه القصة عن عروة بن الزبير، ومجاهد وعكرمة، وقتادة وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر، وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا".

(٣) جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١٣٦، قال الهيثمي: "رواه الطبراني وإسناده حسن". مجمع الزوائد، ٦/ ١١٢.

(٤) التسهيل لابن جزي، ١/ ٣٢٣.

التدبير الإلهي يرافقهم في كل مرحلة من مراحل المعركة، حتى في المعركة... هذا من طرف فريق المؤمنين...

الموقف الثالث: خذلان المشركين وتخلي الشيطان عنهم بعدما غرر بهم: لقد دخل المشركون المعركة بيقين الانتصار ثقة بكثرة عددهم وعدتهم، وثقة بوعود الشيطان الذي تمثل بسراقة بن جعشم سيد بني مدلج، عندما أغراهم بالتقدم وحسَّن لهم القتال وبدد لهم المخاوف التي كانت تجعلهم يترددون خوفا من إغارة بني بكر على بيوتهم(١)، فكان يمنيهم ويعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فدخلوا المعركة كما خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس، ولكن لما رأى الشيطان الملائكة؛ أيقن الملعون خذلانه وخذلان أوليائه، فولى مدبرا ولم يعقب، يقول ابن عباس: "وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده، فولى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا جار؟، قال: إني أرى مالا ترون.. وذلك حين رأى الملائكة"(٢).

هناك فرق كبير بين من يتولاه الله، وبين من يتخذ الشيطان ولياً، ونتائج الولايتين ظاهرة؛ وعلى ذلك جرت المقارنة بين الحالين لتكون درسا للمسلمين إلى يوم القيامة، لتكون هذه الغزوة بمشاهدها القرآنية دليلا واقعيا لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصرُ إِلَّا مِن عِندِ ٱللَّهِ ٱلعَزِيزِ ٱلحَكِيمِ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٢٦] ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الأنفال: ١٠].

(١) انظر تفسير ابن كثير، ٤/ ٧٣.

(٢) جامع البيان لابن جرير، ١٤/ ١٠ و١٤/ ١٥، الجواهر الحسان للثعالبي، ٤/ ٣٦٥، وتفسير ابن أبي حاتم، ٥/ ١٧١٥.

المبحث الرابع
بعد المعركة

المطلب الأول: الأسرى

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠) وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [الأنفال: ٧٠- ٧١].

في رحاب الآيات

إن غلبة الطائفة المؤمنة في معركة الفرقان ينبغي أن تكون مهيبة، يظهر فيها سطوة الحق وخذلان الباطل وأهله، وقد صرح القرآن بالهدف من المعركة منذ أول خروج المؤمنين للقتال بأمر الله تعالى إذ قال: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)﴾ [الأنفال: ٧- ٨]؛ وإن كسر شوكة الأعداء وترسيخ قواعد الدولة الإسلامية، بإضعاف قوة العدو ودرء مفسدته وتقوية شوكتكم وتعزيز هيبتكم، خير من إغناء الناس بالمال الذي تجمعونه من الفداء، فالمؤمنون ما زالوا قلة، والمشركون كثرة، فلا بد مما يكسر شوكتهم وكبرياءهم؛ ولذلك عبَّر البيان الرباني عن مال الفداء بأنه "عرض الدنيا"، فوجّه الخطاب أولًا لنبيه معاتبًا لتركه ما هو الأولى فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ثم يلتفت بالخطاب للمسلمين

معرضًا ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فعلى المسلم أن يترك مراده لمراد الله وأن يريد ما أراد الله، وإرادة الآخرة تقتضي التجرد من عرض الدنيا، ولقد كاد العذاب أن يمسكم لمخالفتكم مراد الله الذي دل عليه أول المعركة، ولكن سبق قضاء الله بأن يغفر لأهل بدر ما يفعلون، فكان ذلك لطفا بهم وبيانا لشأنهم(١).

وفي حديث عمر بن الخطاب عن بدر قال: ".. فلما كان يومئذٍ والتقوا، فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلًا وأسر منهم سبعون رجلًا، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًا وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فأنا أرى أن تأخذ منهم الفداء، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدًا".

فقال رسول الله ﷺ: "ما ترى يا ابن الخطاب؟"، فقال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكنني أرى أن تمكنني من فلانٍ-قريب لعمر-فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد، قال عمر: غدوت إلى النبي ﷺ، فإذا هو قاعد، وأبو بكر، وإذا هما يبكيان، فقلت: "يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإذا وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما"، قال: قال النبي ﷺ: "الذي على أصحابك من الفداء، ولقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة" -لشجرة قريبة-وأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، إلى قوله ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٢٤٠.

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨][١]، من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم.

"والكتاب الذي سبق من الله هو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤] ففيه الإذن بأخذ الفدية من الأسارى ولذلك لم يُعذَّبوا، وإنما نزل العتاب لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، ثم إنهم قبلوا الفداء من أولئك المجرمين الذين لم يكونوا أسرى حرب فقط، بل كانوا أكابر مجرمي الحرب الذين لا يتركهم قانون الحرب الحديث إلا ويحاكمهم، ولا يكون الحكم في الغالب إلا بالإعدام أو بالحبس حتى الموت"[٢].

وبعدما استقرَّ الأمر على أخذ الفداء، توجه القرآن بالخطاب للأسارى على لسان النبيّ ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠]، إن الإسلام دين هداية ورحمة وبناء، وإنما يستبقي الأسرى لديه الآن؛ لتتحقق مقاصد الإسلام فيهم؛ فيلمس في قلوبهم الخير والصلاح والهداية للإيمان، لا ليستذلهم ولا لينحرهم استغلالًا، وقد كان خير مثال لتطبيق هذه الآية: العباس ﷺ، فعن ابن عباس ﷺ، قال: قال العباس: فيَّ والله نزلت-أي قوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] -حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي، وأعطاني بها عشرين عبدًا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله[٣].

فقد ورد أنه كان مسلما في مكة يخفي إسلامه، وقد أُخرج إلى بدر عنوةً ومكرهًا، وكان

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر رقم (١٧٦٣) جامع الترمذي كتاب الجهاد باب ما جاء في المشورة رقم (١٧٦٧) مسند الإمام أحمد، ١/ ٣٢، و١/ ٣٠، وانظر أيضًا جامع البيان لابن جرير، ١٠/ ٣١.

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري، ص١٩٧.

(٣) الجامع الصحيح للبخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، برقم (٤٦٥٢).

من جملة الأسرى في بدر، فلما طُلب منه الفداء قال: علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين-وفي رواية: وكنت مسلمًا، ولكن القوم استكرهوني؟-فقال ﷺ: "الله أعلم بما تقول، إن يك حقًا فإن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا"، وأمر النبي ﷺ العباس بفداء نفسه وابني أخويه، عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وحليفه عتبة بن عمرو، ففدى نفسه بمائة أوقية، وكل واحد بأربعين أوقية، فقال العباس للنبي ﷺ: "تركتني فقير قريش ما بقيت"، فقال له ﷺ: فأين المال الذي دفعته لأم الفضل-يعني زوجته-وقلت لها: إن أُصبت فهذا لبني الفضل وقثم، فقال: والله إني أشهد أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله"(١).

فكان هذا الخير بأن تصلح قلوبهم فتنفتح لنور الإيمان، والتعبير عن الإيمان بالخير، ليعلم الناس أن معدن الخير وأصله إنما يكون في الإيمان لا في غيره.

إن هذا الخطاب الرحيم سيبعث في قلوب الأسرى الطمأنينة من جانب المسلمين، وسيوقظ فطرتهم للإيمان، ولكن ربما يعود الشيطان فيزين لهم مرة أخرى صيانة الله ورسوله، فلا بد إذن من أن تستوي لهجة الخطاب بالترغيب والترهيب، حتى يستبين للأسرى طريقهم ويحددوا مصيرهم فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٧١)﴾ [الأنفال: ٧١]، أي: إن حصلت منكم إرادة المكر بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، أو إظهار الموادعة والاسترحام، وإبطان اللؤم والعداوة والقتال ثانية في المستقبل؛ فلتعلموا أن ذلك كان منكم قبل تخرجوا لبدر وتكونوا أسرى فأمكن الله منكم وجعلكم قتلى وأسرى بين أيدي المؤمنين، ومهما أخفيتم الكفر في نفوسكم فإن الله ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٣/ ٤٠٥، واجامع البيان لابن جرير، ١٠/ ٣٥، قال الهيثمي مجمع الزوائد، ٦/ ١١٤: "رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات".

المطلب الثاني: الغنائم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ للهَّ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١)﴾ [الأنفال: ١].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِّ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِّ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٤١)﴾ [الأنفال: ٤١].

﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللهَّ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨- ٦٩].

في رحاب الآيات

لقد انتهت المعركة، وانتهى معها الامتحان الأول الذي خاضه المؤمنون، وقد قاسوا فيه الكثير الشديد، وأبلى كل واحدٍ منهم بلاءً حسنًا، ورأى المؤمنون تأييد الله لهم في كل مرحلة من مراحل المعركة، فكانت معركة بدر مدرسة تربية عقدية توثق روابط الصلة بالله واليقين بوعده، وانتقلت المعركة من عدو ظاهر وجهاد جسدي بدني؛ إلى قتال عدو خفي وجهاد يرتبط بتربية النفس وتوجيه الفطرة، إنها حب الدنيا وشهوة الرغائب والاستيثار، ولّما كانت الأنفال مرتبطة بهذا البلاء، حصل الخلاف فيها، فكثر الجدال والسؤال، حتى تكرر السؤال عنهاكما دل عليه النظم القرآني بصيغة المضارع فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، مما يدل على أنّ أمرها يشغل الجميع، عن ابن عباس قال: قال رسول الله يوم بدر: "من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا"، قال: فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها؛ فلما فتح الله عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءًا لكم، لو انهزمتم فئتم [لفئتم] إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله لنا، فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١][1].

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: جئت إلى النبي يوم بدر بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري اليوم من العدو، فهب لي هذا السيف، قال: "إن هذا السيف ليس لي ولا لك"، فذهبت وأنا أقول: يُعطاه اليوم من لم يبل بلائي، فبينا أنا إذ جاءني الرسول فقال: أجب، فظننت أنه نزل فيّ شيء بكلامي، فجئت، فقال لي: فهو لك، ثم قرأ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ﴾ ... الآية [الأنفال: ١][2].

عن عبادة بن الصامت ﷺ، أنه قال: "خرجت مع رسول الله ﷺ إلى بدر نلقى العدو، فلما هزمهم اتبعهم طائفة من المسلمين يقتلونهم، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ، واستولت طائفة بالعسكر، فلما كفى الله العدو، ورجع الذين قتلوهم، قالوا: لنا النفل؛ نحن قتلنا العدو، وبنا نفاهم الله وهزمهم، وقال الذين كانوا أحدقوا برسول الله ﷺ: ما أنتم بأحق به منا، هو لنا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر: والله ما أنتم بأحق به منا نحن استولينا على العسكر، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[1]﴾ [الأنفال: ١]، فقسمه رسول الله ﷺ بينهم عن فواق"[3].

ولكن التربية الربانية ما زالت تعمل بهم، وإن أجمل شيء في التربية وأجدى أثرٍ فيها، أن

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد باب في النفل رقم (٢٧٣٧)، وانظر: جامع البيان لابن جرير، ٩/ ١١٦، وأسباب النزول للواحدي، ص١٣٢.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد باب النفل، رقم (٢٧٣٧)، والحاكم في المستدرك، ٢/ ١٤١، برقم (٢٥٩٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ١٤٧، برقم (٢٦٠٧)، وصححه الحاكم على شرطهما، وقال الذهبي على شرط مسلم، وانظر: أسباب النزول للواحدي، ص١٣٢.

تكون التربية عملية واقعية، ويكون التوجيه عند الخطأ، لا قبله فتُنسى، ولا بعده فتكون النصيحة باردة، فإذا كانت النصيحة والتوجيه في ساعة الحاجة فإنها أوقع في القلب وأعمق.

لقد زاد الخلاف بينهم والنزاع في الغنائم حتى حصل (بَيْنٌ) بين المسلمين، وهذا البين خطرٌ كبيرٌ على بيضة الدولة الناشئة، ولا تكفي التشريعات في رأب صدع الخلاف من جذوره، بل لا بد من زمام يقود القلوب ويشدها إلى بعضها، وهذا الزمام يتمثل بالتقوى التي تلزم المؤمن بأخيه بدافع الإيمان، وأما التشريعات فإنها تفض النزاع الجسدي والتصادم الظاهر بالأبدان وتفض الخصام المتكرر، والإسلام يريد من الأمة أن تنجذب إلى بعضها بالرحمة والأخوة، وتتعاضد بدافع الإيمان، ولذلك بدأ الحل بالأمر بالتقوى ثم بإصلاح ذات البين، فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، أي: أصلحوا ذلك الشيء الذي كان سببًا لحصول الشق والفتق في صفوفكم، ألا وهو حب متعلقات الدنيا "الغنائم"؛ والتي عبَّر عنها القرآن بـ "الأنفال"، أي: الزيادة، تنبيهًا لهم بوزنها الحقيقي أمام ما ظفروا به، وتعريضاً بأن المؤمن لا يترك الأساس الثقيل ويضحي بوحدة الأمة وتراصّ صفها ويهدر الفريضة لأجل النفل، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

لقد كان هذا الخطاب تمهيدًا للقلوب وللنفوس لتلقي قسمة الله تعالى للغنائم بالتسليم، وللتعبير عن معنى الطاعة العملية لله والرسول ﷺ، فالطاعة: هي الصورة العملية للإيمان والتقوى، وهذه الصورة العملية ستظهر عند قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهَّ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهَّ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٤١)﴾ [الأنفال: ٤١].

إن إحلال الغنائم لهم لم تكن تحل لأحد قبلهم من الأمم، وقَبْلَ النبي ﷺ لم يكن أحدٌ

من الأنبياء يأكل مغنمًا من عدوّ له[١]، فقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٦٩)﴾ [الأنفال: ٦٩].

سبق وأن وصف القرآن الغنائم في أول السورة بالأنفال، ولكنه يذكر الأنفال هنا بالغنائم، فهل تلك تختلف عن هذه؟.

إن القرآن يعطي للأشياء تسميتها اللائقة بها بحسب موقعها من الحدث، فعندما كان الحدث خلافا يؤدي إلى شقاق في الصف وتدابر في الوجوه، والفريضة تقتضي وحدة الصف، كان موقع هذه الغنائم أمام هذه الفريضة كموضع النافلة أمام الفريضة، فلا ينبغي لمسلم ترك الفريضة والاقتتال على النافلة، أضف إلى ذلك أن معركة بدر من ابتدائها إلى نهايتها كانت محفوفة بتأييد الله ونصره، وما الثبات وقتل المشركين بأيدي المؤمنين إلا من الله، فحصولكم على هذه الغنائم زيادة تفضل من الله تعالى عليكم، ثم لما جاءت الشريعة بالحكم العادل لتقسيم الحقوق سماها الله تعالى باسمها الشرعي الحقيقي لأن المقام هنا مقام تشريع واستحقاق، انقلبت فيه النافلة إلى حق؛ ولكن ثمةَ حادثة وقعت عند تقسيم الغنائم.. هذا ما سنراه في المطلب الآتي.

المطلب الثالث: ما حصل عند تقسيم الغنائم

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(١٦١)﴾ [آل عمران: ١٦١].

في رحاب الآية

عن ابن عباس قال: فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين، فقال أُناسٌ:

(١) إشارة إلى حديث النبي ﷺ: (وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي) عند مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢١).

لعل النبي ﷺ أخذها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١][1].

إن أشد ما يواجه المجتمع المسلم ويفكك ترابطه الإشاعات المبنية على التوهم، أو نشاط المنافقين بالتشكيك بالقدوات، فها هو سيدنا رسول الله ﷺ لم يسلم منهم؛ فاتهموه بأنه – وحاشاه بأبي هو وأمي – غلَّ، "وهو: أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها"[2]، فنزل القرآن منزهًا رسول الله ﷺ عن ذلك وبخطاب مفزعٍ لهم ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، نعم ما كان لنبيٍّ سابق من الأنبياء أن غلَّ، فكيف بسيد الأنبياء والرسل الذي ختم الله به النبوة، فوجه الخطاب للمؤمنين أجمع وبصيغة العموم، تربيةً لهم بتعظيم الرسول ﷺ أولًا، ونهيهم عن الخيانة بالترهيب، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾ [آل عمران: ١٦١].

(١) أبو داود في السنن داود أول كتاب الحروف، برقم (٣٩٧١)، و الترمذي في جامعه، كتاب التفسير باب ومن سورة آل عمران برقم (٣٠٠٩)، وقال الترمذي: (حسن غريب)، وأخرجه ابن جرير في جامع البيان، ١٠/ ٣٥، وقد استبعد أبو السعود أن تكون الآية نزلت في هذه الحادثة ورجح أنها نزلت في أحد، انظر تفسير أبي السعود، ٢/ ١٠٦.

(٢) التسهيل لابن جزي، ١/ ١٧٠.

الخاتمة

أولاً: النتائج

١. أخذت معركة بدر مساحة مهمة في آيات القرآن الكريم؛ نظرا لأهميتها واستيعابها لأهم عوامل النصر والهزيمة لتكون عبرة للأمة ودرسا إلى يوم القيامة.

٢. إن دراسة الغزوات من القرآن الكريم يعني دراسة الحقائق ودلالاتها الحاملة لأسباب النصر وعوامل الهزيمة.

٣. أعطت دراسة الآيات للغزوة بعدا نفسيا ومعنوياً؛ يختلف عن طريقة عرض السيرة للغزوة، جعلتنا ندخل بمشاعرنا في أعماق النفس البشرية ونتعرف طبائعها.

٤. لم تهتم الآيات بالتفاصيل التي حصلت في الغزوة، وإنما كانت تؤكد على تدبير الله للمؤمنين، وكيف سخر الله لهم المطر والأرض والمكان والزمان واللقاء ليقضي الله أمرا كان مفعولاً، وليحقق السنة الربانية في نصرة الله لأوليائه وخذلانه لأعدائه إن حققوا أسباب النصر الإيمانية قبل المادية.

التوصيات: دراسة آيات غزوة بدر في القرآن الكريم دراسة تحليلية مشتركة بين تخصصات متعددة "عسكرية وتربوية وسياسية" إضافة للدراسة الطبوغرافية، وعلى نسقها باقي الغزوات في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، ترتيب ابن بلبان الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط: دار إحياء التراث (د. ت).

أسباب النزول القرآن، الواحدي علي بن أحمد النيسابوري، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح – الدمام، ١٤١٢هـ.

أطلس التاريخ العربي، د. شوقي أبو خليل، ط دار الفكر، ١٩٨٥م.

اقتباس النظام العسكري في عهد النبي، أبحاث قدمت للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية، ط الدوحة محرم ١٤٠٠هـ.

إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي أحمد بن علي ت: محمود شاكر ط: الشؤون الدينية، قطر (د. ت).

إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، الحلبي نور الدين علي بن إبراهيم، ط دار المعرفة (د. ت).

البداية والنهاية، ابن كثير إسماعيل بن عمر، ط: دار الفكر، ١٩٨٢م.

بدر الكبرى الغزوة والمدينة، محمد عبده يماني، ط دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، ١٩٩٤م.

بدر الكبرى، د. شوقي أبو خليل، ط دار الفكر، ١٩٨٢م.

تاريخ الأمم والملوك، الطبري محمد بن جرير، ط مؤسسة الأعلمي للنشر (د. ت).

تاريخ جيش النبي، اللواء الركن محمد شيت خطاب، دار الاعتصام ١٩٨٠م.

ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، ط دار الفكر، (د.ت).

التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي محمد بن أحمد الكلبي ، ت: د. عبد الله الخالدي، ط دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.

تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد، ت: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة الباز السعودية، ١٩٩٠م.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير إسماعيل بن عمر، ط دار المكتبة العصرونية، د. ت، وطبعة أخرى ت: سامي بن محمد سلامة ط: دار طيبة ١٤٢٠هـ.

جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري محمد بن جرير، ط دار المعرفة (د. ت)، وأخرى: ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

الجامع الصحيح، الترمذي محمد بن عيسى، ت أحمد شاكر، ط دار الفكر (د. ت).

الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، "صحيح البخاري"، البخاري محمد بن إسماعيل ت: د. مصطفى البغا، ط: دار العلوم ١٩٩٣م.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي محمد بن أحمد، ط دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي عبد الرحمن بن محمد، ت: محمد علي معوض، وعادل أحمد موجود، ط: دار إحياء التراث، ١٤١٨هـ.

حاشية محيي الدين الشيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد بن مصلح الدين القوجوي ط دار إحياء التراث (د. ت).

حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ"، د. محمد بن عابد آل بكر، ط دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١١م.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٥هـ، وأخرى بتحقيق عبد المعطي قلعجي، ط دار الريان للتراث ١٩٨٨م.

الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبارك فوري، ط دار الأرقم، (د. ت).

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة ١٤٣٠هـ .

السنن الكبرى، البيهقي أحمد بن الحسين، ت محمد عبد القادر عطا، ط دار الباز مكة ١٤١٤هـ.

سيرة الرسول، صور مقتبسة من القرآن الكريم، محمد عزة دَرْوَزة، ط الدوحة قطر ١٤٠٠هـ.

السيرة النبوية، ابن هشام: عبد الملك بن هشام، ت مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي ط دار إحياء التراث د. ت، وأخرى: ط دار الخير ١٩٩٦م.

في التاريخ الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، ط دار الفكر ١٩٨٩م.

لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي عبد الرحمن بن كمال الدين، ضبطه أحمد عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، (د. ت).

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي علي بن أبي بكر، ت: عبدالله درويش ط دار الفكر ١٩٩٢م.

المراسيل، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت شعيب أرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة دمشق، ١٤٠٨هـ.

المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ١٩٩٠م.

مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق حسين الأسد، ط دار المأمون، دمشق، ط: ١٩٨٤م.

المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، "صحيح مسلم"، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: فؤاد عبدالباقي ط دار إحياء التراث (د. ت)، و أخرى: ط دار الكتب العلمية ١٩٧٧م.

المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ط دار الفكر ١٩٧٧م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي أحمد بن محمد، ط دار القلم (د. ت).

المغازي، ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم، ت سهيل زكار ط دار الفكر ١٩٨م.

موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي برواية أبي مصعب الزهري، ت: بشار عواد معروف – محمود خليل، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

Sources and references

al'iihsan fi taqrib sahih aibn hibaan , muhamad bin hibaan albasti, tartib aibn balban al'amir eala' aldiyn eali bin balban alfarsi, tahqiq shueayb al'arnawuwta, ta: muasasat alrisalati, 1988m.

'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alquran alkarim, 'abu alsueud muhamad bin muhamad aleamadii, ta: dar 'iihya' alturath [d. t].

'asbab alnuzul alqurani, alwahidiu eali bin 'ahmad alniysaburi, ta: eisam bin eabd almuhsin alhimaydan, ta: dar al'iislah - aldamam, 1412 hi.

'atlas altaarikh alearabii, da. shawqi 'abu khalil, t dar alfikri, 1985m.

aiqtibas alnizam aleaskarii fi eahd alnabi, 'abhath qadamat lilmutamar alealamii althaalith lilsiyrat alnabawiati, t aldawhat muharam 1400h.

'iimtae al'asmae bima lilrasul min al'anba' wal'amwal walhafdat walmataei, almiqrizii 'ahmad bin eali ta: mahmud shakir ta: alshuwuwn aldiyniati, qatar [d. t]

'iinsan aleuyun fi sirat al'amin almamuni, (alsiyrat alhalabiati) ealiin bin 'iibrahim alhalabii t dar almaerifa [d. t].

albidayat walnihayatu, abn kathir 'iismaeil bn eumra, ta: dar alfikri, 1982m.

badar alkubraa alghazwat walmadinatu, muhamad eabdih yamani, t dar alqiblati, wamuasasat eulum alqurani, 1994m.

bdar alkubraa, da. shawqi 'abu khalil, t dar alfikri, 1982m.

tarikh al'umam walmuluki, altabarii muhamad bin jirir, t muasasat al'aelamii lilnashr [d. t].

tarikh jaysh alnabi, alliwa' alrukn muhamad shit khatabi, dar aliaetisam 1980m.

tartib alqamus almuhit ealaa tariqat almisbah almunir wa'asas albalaghati, altaahir 'ahmad alzaawi, t dar alfikr thalithatan, [da.t]

altashil lieulum altanzili, abn jaziy muhamad bin 'ahmad alkalbii , ti: da. eabd allah alkhalidii, t dar al'arqam bn 'abi al'arqam, 1416h.

tafsir alquran aleazimi, aibn 'abi hatim alraaziu eabd alrahman bin muhamadi, ta: 'asead muhamad altayib, ta: maktabat albaz alsueudiat, 1990m.

tafsir alquran aleazimi, abn kathir 'iismaeil bin eumra, t dar almaktabat

aleasruniati, du. ta, watabeat 'ukhraa ta: sami bin muhamad salamat ta: dar tiibat 1420h.

jamie albayan fi tafsir alqurani, altabarii muhamad bin jirir, t dar almaerifa [d. t], wa'ukhraa: t: 'ahmad muhamad shakir, muasasat alrisalati, 1420hi.

aljamie alsahih whw alsananu, altirmidhiu muhamad bin eisaa, t 'ahmad shakir, t dar alfikr [d. t].

aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umwr rasul allah salaa allah ealayh wsllm wasunanuh wa'ayaamahu, "sahih albukharii", albukhariu muhamad bn 'iismaeil ta: da. mustafaa albagha t dar aleulum 1993m.

aljamie li'ahkam alqurani, alqurtubii muhamad bin 'ahmad, t dar alkutub aleilmiati, 1988mi.

aljawahir alhasaan fi tafsir alqurani, althaealibii eabd alrahman bin muhamad, ta: muhamad eali mueawad, waeadil 'ahmad mawjudi, ta: dar 'iihya' altarathi, 1418h.

hashiat muhyi aldiyn alshaykh zadah ealaa tafsir albaydawi, muhamad bin maslah aldiyn alqujawii t dar 'iihya' alturath [d. t].

hadith alquran alkarim ean ghazawat alrasul ρ", du. muhamad bin eabid al bakr, t dar algharb al'iislami, tunus, 2011m.

dalayil alnubuat wamaerifat 'ahwal sahib alsharieati, 'abu bakr albayhaqi 'ahmad bin alhusayni, ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut, 1405hi, wa'ukhraa bitahqiq eabd almueti qaleaji, t dar alrayaan lilturath 1988m.

alrahiq almakhtumi, sifi alrahman almubarak furi, t dar al'arqam, [d. t].

sinan 'abi dawud, 'abu dawud sulayman bin al'asheath alssijistany, ti: sheayb al'arnawuwt - mhammad kamil qarah bilali, ta: dar alrisalati,1430h .

alsunan alkubraa, albayhaqiu 'ahmad bin alhusayn, t muhamad eabd alqadir eataa, t dar albaz makat 1414h.

sirat alrasuli, suar muqtabasat min alquran alkarimi, muhamad eizat darwazt, t aldawhat qatar 1400h.

alsiyrat alnabawiatu, aibn hisham: eabdalmalik bin hishami, t mustafaa alsaqaa, 'iibrahim al'abyari, eabd alhafiz shalabi t dar 'iihya' alturath [d. ti], wa'ukhraa: t dar alkhulud [d. ta], t dar alkhayr 1996m.

fi altaarikh al'iislamiu, da. shawqi 'abu khalil, t dar alfikr 1989m.

lbab alnuqul fi 'asbab alnuzuli, alsuyutii eabd alrahman bin kamal aldiyn, dabtah 'ahmad eabd alshaafi, ta: dar alkutub aleilmiat bayrut, du. t.

majmae alzawayid wamanbae alfawayidi, alhaythamii eali bin 'abi bakr, ti: eabdallah darwish t dar alfikr 1992m.

almarasil, 'abu dawud sulayman bin al'asheath alsajistani, t shueayb 'arnawuwta, t muasasat alrisalat dimashqa, 1408h.

alimustadrik ealaa alsahihayni, alhakim muhamad bin eabd allah alnaysaburi, mustafaa eabd alqadir eataa, dar alkutub aleilmiati, 1990mi.

msanad 'abi yaelaa almusili, 'ahmad bin eali bin almuthanaa almusili, tahqiq husayn al'asadi, t dar almamuni, dimashqa, tu: 1984m

almusnad alsahih almukhtasar min alsunan binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah salaa allah ealayh wasalama, "shih muslimi", muslim bn alhajaaj alniysaburi, ta: fuaad eabdalbaqi t dar 'iihya' alturath [d. ti], w 'ukhraa: t dar alkutub aleilmiat 1977ma.

almusandi, al'iimam 'ahmad bin hanbal, t dar alfikr 1977m.

almisbah almunir fi gharayb alsharh alkabir lilraafiei, 'ahmad bin muhamad alfayuwmi t dar alqalam [d. t].

maghazi abn shihab alzahri, muhamad bin muslim bin shihabi, t suhayl zakaar t dar alfikri.198m.

muataa al'iimam malk, malik bin 'anas al'asbahi biriwayat 'abi museab alzahri, ta: bashaar eawad maeruf - mahmud khalil, ta: muasasat alrisalati, 1412 hu